هوامش

يرجّح الباحث في الدراسات الشرقية والمتوسطية في الأكاديمية البولندية للعلوم، ماريك ووزنياك، أن المصريين القدماء، قد هجروا إحدى مدنهم الساحلية، إثر انفجار بركاني أضرّ بمناخ منطقتهم

معبد روماني صغير في مدينة دندرة المصرية (Getty)

المصريون القدماء

مستوطنات بشرية على حافة البركان

محمد الحداد

هجر المصريون القدماء إحدى مدنهم الساحلية منذ أكثر من 2000 عام، بسبب التغير المناخي الذي أدى إلى جفاف إمدادات المياه العذبة، وفق نتائج دراسة جديدة نشرت في مجلة «أنتيكوتي» يوم 19 مارس/ آذار الجاري. وترجع الدراسة السبب في هذا التغير إلى حدوث ثوران بركاني كبير، ربما وقع على الجانب الآخر من العالم.

المدينة هي «بيرنيك»، وهي إحدى المستوطنات البشرية المصرية القديمة النادرة على ساحل البحر الأحمر. وقد تأسست بيرنيك في الفترة بين 275 و260 قبل الميلاد، ولكن جرى التخلي عنها مؤقتاً في وقت ما في الفترة ما بين 220 و200 قبل الميلاد، قبل إعادة توطينها لعدة قرون. بعد أن ضمت الإمبراطورية الرومانية مصر في 30 قبل الميلاد، أصبحت بيرنيك الميناء الجنوبي للإمبراطورية.

يقول ماريك ووزنياك، الباحث في الدراسات الشرقية والمتوسطية في الأكاديمية البولندية للعلوم، والمؤلف الرئيسي للدراسة، إن المدينة والميناء ربما كانا يحكمان طوال الفترة الهلنستية من قبل قائد عسكري رفيع المستوى برتبة «ستراتيجوس»، أي جنرال. وهكذا، خلال الفترة الهلنستية المبكرة (القرن الثالث قبل الميلاد)، عملت بيرنيك كمدينة ميناء وقاعدة عسكرية في الوقت نفسه.

يضيف ووزنياك، في تصريح لـ«العربي الجديد» أنه طبقاً لوثائق البردى التي جرى تحليلها، فإن سكان المدينة كانوا بالتأكيد متخصصين في مجالات مختلفة، ويعملون مقابل رواتب كبيرة، سواء أولئك الذين يشاركون في تنظيم صيد الأفيال، والعمال المهرة مثل عمال البناء، وربما أيضاً المرتزقة والبحارة.

«كانوا خليطاً متعدد الأعراق إلى حد ما، وكان القائد العام (وفقاً لاسمه الأول) يونانياً، وجاء بعض الجنود وأعضاء فرق الصيد أيضاً من مدن يونانية في شرق البحر الأبيض المتوسط. لكن معظم سكان بيرنيك كانوا مصريين من الفيوم، وربما أيضاً من طيبة»، يشرح الباحث الذي يلفت إلى أن المدينة التاريخية كانت محطة مهمة في طريق الدبلوماسيين البطالمة نحو منطقة المحيط الهندي والممالك الهندية.

بدأ ووزنياك وزميله البحث والتنقيب في موقع المدينة منذ عام 2014، بحثاً عن بقايا بوابة وبرج في جدار قلعة المدينة. وكان نتيجة هذه الحفريات الكشف عن بئر غارقة في أرضية المبنى، لا تزال تتراكم فيها المياه حتى اليوم، رغم أنها مياه أقرب إلى الملوحة.

تقول الدراسة إن البئر كانت قد جفت في الفترة بين 220 و200 قبل الميلاد، وغمرتها الرمال بفعل الرياح النشطة في المنطقة. عثر الباحثون في هذا الرمل المحفوظ في البئر على عملتين من البرونز، يعود تاريخهما إلى عقود قبل عام 199 قبل الميلاد. في مكان آخر بالقلعة، هناك عدد قليل من القطع الأثرية تعود للفترة التاريخية نفسها.

تصل الدراسة إلى نتيجة مفادها أن المدينة هُجرت بعد فترات جفاف استمرت لسنوات، قد يكون سببها ثورانٌ بركاني وقع في عام 209 قبل الميلاد، أطلق الكثير من رذاذ الكبريتات في الغلاف الجوي للأرض. وقد سبّب هذا اضطرابات في سقوط أمطار فصل الصيف على منابع النيل في إثيوبيا. دفعت قلة الأمطار وجفاف البئر سكان المدينة إلى تركها والبحث عن بدائل أخرى.

يشرح المؤلف الرئيسي للدراسة الكيفية التي يمكن أن يؤثر بها ثوران بركاني في أقصى الأرض على الأمطار في مصر: «إنها عملية معقدة. والفكرة العامة، أن الانفجار البركاني الكبير يقذف كميات هائلة من الرماد وغازات الكبريت في الغلاف الجوي. تدور الغازات والهباء البركاني على ارتفاعات عالية وتنتشر عبر الغلاف الجوي لنصف الكرة الأرضية بأكمله وتقلل من تغلغل ضوء الشمس عبر الغلاف الجوي».

ويضيف: «انخفاض ضوء الشمس يسبب تبريد سطح الأرض ومياه المحيطات، وبالتالي يقلل من تبخر المياه من البحار والمحيطات وكذلك التغيرات في الضغط الجوي وأنماط الرياح. ويؤدي هذا إلى انخفاض في سُمك السحب المطيرة. وقلة التبخر والغيوم تعني تساقط أمطار أقل، وحتى إذا سقطت بعض الأمطار، فسيحدث ذلك في جنوب المنطقة، بينما يكون الجزء الشمالي في حالة جفاف».

وهذا هو ما حدث في حالة بيرنيك التي تأثرت بسبب ظروف الجفاف التي نتجت من ثوران بركاني سبّب ضعف سقوط الأمطار على منابع نهر النيل. ولم يحدد الباحثون مصدر هذا الثوران، لكنهم يرجحون أنه وقع في المكسيك، أو في جزيرة مارتينيك في جزر الأنتيل الصغرى في البحر الكاريبي، أو في بركانين آخرين في اليابان.

باختصار

هُجرت المدينة بعد فترات جفاف قد يكون سببها ثوران بركاني أطلق الكثير وقع عام 209 ق. م مطلقاً رذاذ الكبريتات في الغلاف الجوي للأرض

■■■

تأثرت مدينة بيرنيك بسبب ظروف الجفاف التي نتجت من ثوران بركاني سبّب ضعف سقوط الأمطار على منابع نهر النيل

■■■

طبقاً لوثائق البردى التي جرى تحليلها، فإن سكان المدينة كانوا متخصصين في مجالات مختلفة، ويعملون مقابل رواتب كبيرة

وأخيراً

«الموريتاني»... الحكاية أقوى من الفيلم

معن البياري

لا يعني العنوان أعلاه أن فيلم الاسكتلندي، كيفين ماكدونالد، «الموريتاني» ضعيف. وإنما أنه عاديٌّ في إيقاعه. ليس بالمتانة التي يتوسّلها مشاهدٌ متطلّب، أمثالنا، نحن أصحاب التعاليق في الصحافة السيّارة، ممن لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب. فيه الأداء العالي لنجومه. فيه تلك السمة الهوليودية التي تأتي بتنويعاتٍ وأمزجةٍ أميركيةٍ متعدّدة. فيه ما فيه من عناصر فيلمٍ ناجح، غير أنه افتقد القوة العالية المتحقّقة في الحكاية التي ينشغل بها. بدا تقليديا، حدّوتته منحته الجاذبية التي توفرت فيه، سيما في لقطاتٍ غير قليلةٍ فيه، تتابعت لتصنع التشويق اللازم الذي يشدّ مُشاهد فيلم عن عربي مسلم يتّهمه رامسفيلد وجورج بوش بالإرهاب. ولكن قطبةً في الفيلم أبقته أقلّ من قوة حكايته الشديدة الفرادة، ذات الكثافة العالية من الألم، المثقلة بحرارةٍ أكثر سخونةً مما بدا عليه الفيلم الذي بدا باردا في بعض مواضعه. وليس في الوسع حسم ما إذا كانت انطباعاتٌ مرتجلةٌ (ومتسرّعة؟) كهذه سبب عدم الإقبال الواسع عالميا، سيما في الولايات المتحدة، على مشاهدته، وقد تكلف 14 مليون دولار، ولم يُحرز حتى الساعة إلا 3,3 ملايين دولار، أو إنها جائحة كوفيد خرّبت على الفيلم الذي يستحقّ، أيا كانت زوايا النظر إليه، مشاهدته، بل والاهتمام به، والبناء على مضامينه شديدة الأهمية.

فيلمٌ عن ظلمٍ مريعٍ تعرّض له المهندس (والكاتب) الموريتاني، مُحمدّو ولد صلاحي، الذي تسلمته الولايات المتحدة من سلطات بلاده (سلوك عربي مخزٍ)، شهرين بعد واقعة «11 سبتمبر» في 2001، ثم تبيّن أنه محتجزٌ في غوانتانامو، السجن سيء الصيت، حيث أمضى 14 عاما، ولم تستطع الحكومة الأميركية إثبات تهمةٍ جرميةٍ تدينه. وبعد سبع سنوات فيه، يحصل على حكم بإطلاق سراحه، إلا أن السلطة إيّان إدارة أوباما استأنفت لتبقيه سبعا أخريات. وفي الأثناء، ترافعت عنه محاميةٌ نشطة، وجدت في قضيته نقصانا ظاهرا وفادحا في «سيادة القانون». وراعَ الضابط (أدّى دوره ستيورات كوتش) الذي اختير، من أجل أن يسوقه إلى الإعدام، ثم استنكف الرجل بعد ما عاينه من جسامة التعذيب التي تعرّض لها صلاحي الذي سيق إلى هناك بسبب مكالمة هاتفية تلقّاها من قريبٍ له من هاتف بن لادن. وفي الأثناء، كتب ولد صلاحي (أدّى دوره الجزائري الفرنسي طاهر رحيم)، وهو المتعلم والمثقف، يوميات ومراسلات بالإنكليزية، اجتمعت لاحقا في كتابٍ كان من الأكثر مبيعا لمّا نُشر، وترجم إلى عدة لغات (صدر بالعربية عن دار الساقي، بيروت، 2015). اعتمد عليه، تاليا، ثلاثة كتاب سيناريو لإنجاز الفيلم المتحدّث عنه هنا، والذي كان وفيا لنصوص الكتاب، واختُتم بمشاهد حقيقية لولد صلاحي نفسه في بلده، لمّا عاد، وصُور له مع المحامية نانسي هولاندرز، وقد أدّت دوْرها جودي فوستر التي عادت إلى السينما من أجل هذا الفيلم، بعد غياب خمس سنوات، فأحرزت جائزة غولدن غلوب لأحسن ممثل مساعد.

يبدأ فيلم مخرج الوثائقيات، ماكدونالد، بمشاهد البحر وشاطئه في موريتانيا، والريح تعبث بزي محمدو ولد صلاحي، ومشاهد عرس وغناء فرح بأصوات نسوية، جميلة للحق، في بلدته. وبذلك تكون ضربة البداية في «الموريتاني» موفقة، لأنه سينتقل من هذه البهجة في البلد العربي المسلم إلى حيث الفظاظة وانعدام الإنسانية، في الجزيرة الكوبية التي أتقن الفيلم تشخيص القسوة فيها، بتصوير الأقفال والأقفاص والبوابات الحديدية وأصوات الحركة الثقيلة لبساطير عساكر غلاظ (معظمهم سود؟ هل ثمّة عنصريةٌ ما هنا؟). وفي الأثناء، تقرأ تنبيها في المدخل يحذّر من إيذاء البيئة وحيوان «الإيغوانا» (ما هو؟). وإلى هذه وتلك، ثمّة شخصية ولد صلاحي نفسه، متدين بشوش، على بعض المرح، يلعب الكرة، يُجادل محاميته ويحاورها، يناور معها، هي المعنية بالقانون ومسطرته، وليس بالضرورة ببراءة موكّلها التي اختارتها بنفسها. وفي الوسع، إذن، أن يُمتدح هذا المنزع الذي ذهب إليه المخرج، كيفين ماكدونالد، وقد قال، في محاورة معه، إنه لم يقصد إنجاز فيلم سياسي، وإنما عن معاناة عربي مسلم، متسامح، اللطف من سجاياه، لا علائم على العنف في شخصه، كان على علاقة حب عابرة في أثناء إقامته في ألمانيا. إذن، هي الحكاية، وشخصية محمدو ولد صلاحي، وفّرتا للفيلم مواطن جودة ظاهرة فيه، أضافت إلى ما اشتغل عليه المخرج بشأن حدّة المؤسسية البوليسية والعسكرية الأميركية، مع بعض الخطابية عن القيم الأميركية، والعدالة، وسلطة القانون، والروح المسيحية أيضا، فكان المُنتج لا بأس به.

> الحكاية وشخصية المهندس محمدو ولد صلاحي وفّرتا لفيلم «الموريتاني» مواطن جودة ظاهرة فيه

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**